أيها الأطباء

فى الإحصاء الرسمى للمهن أن المشتغلين بالطب البشرى بلغ مجموعهم ٤٢٤٣ فى نهاية سنة ١٩٣٩ (يدخل فى هذا العدد أطباء الأسنان وهم يزيدون على الستمائة .

أولئك هم الذين يخدمون أجسام سبعة عشر مليونا من الأنفس ، فلو وزعوا بالعدل على عدد السكان لكان على كل طبيب أن يعالج أكثر من أربعة آلاف مريض كل عام ، فأنت ترى أننا مأزومون فيمن يعالجون أجسامنا ، لكن هناك أزمة أشد وأبلغ فقد بدا لى أن أضع أمامى " دفتر التليفون " وأحصى عدد أطباء القاهرة فإذا هم نحو ألف وستمائة عدا من ليست لهم تليفونات ومن يعملون فى " عيادات " كبار الأطباء ، ومعنى هذا أن نحو نصف أطباء القطر كله محتشدون فى العاصمة وحدها ، ولا شك أن الإسكندرية وهى العاصمة الثانية تستأثر بعدد عظيم من النصف الباقى ، ولا يزيد سكان المدينتين معا على مليونين ونصف مليون ، فالأطباء القائمون على علاج بقية المدن والقرى ، أى على علاج خمسة عشر مليونا من الأنفس ، لا يزيدون على الألف إلا قليلا .

هذا سوء توزيع بغير شك ، ويزيد هذا السوء وضوحا أن هذا العدد الضئيل من الأطباء الموزعين على مدائن مصر وقراها ، يقيم فى المدن وحدها بحكم الوظيفة الأميرية ، أما القرى وهى أربعة آلاف قرية ، فمن المتعذر أن تعثر فى إحداها على " عيادة " لطبيب .

ولم نصل بعد إلى مستوى الأمم التى تنتشر فى قراها الجمعيات التعاونية الناجحة ، التى تقيم على نفقتها مستوصفا وتستخدم طبيبا وصيدليا وزائرة صحية ومخزنا للأدوية بل نحن فى كل شأن من شؤون الإصلاح ننتظر الحكومة حتى تعمل ، وننتظر القوانين القاهرة حتى تصدر وتنفذ ، وليست الحكومة بقادرة على كل شىء إلا أن تجد من عواطف الشعب مؤازرة وتأييدا .

صحيح أن مشروع المراكز الاجتماعية يكفل للقرى وساكنيها مزيدا من العناية بالصحة ولكن بيننا وبين تعميم هذه المراكز مدى بعيدا ما دامت موارد الدولة محدودة وأعباء الخزانة جساما .

ودونك مظهرا آخر من مظاهر سوء التوزيع حتى فى المدينة الواحدة ، فإن شارع شبرا وحده يختص بنحو مائة طبيب ، وشارع فؤاد الأول يزدحم بمثل هذا العدد ، وقل مثل هذا وذاك عن ستة شوارع أخرى أو سبعة ، أما بقية أحياء المدينة وشوارعها فمحرومة من كفايتها من الأطباء ، والحال كذلك فى الضواحى أو فى أكثرها .

لم هـذا ؟ ولم لا يوزع هؤلاء الأطبـاء أنفسهم على الأحياء والمنازل ليجد كل منهم كفايته من المرضى ومن الرزق ، بدلا من التزاحم على مرضى معدودين ورزق محدود !

ولم لا يورعون أنفسهم على مدن الريف وقراه ليخدموا الناس ويخدموا أنفسهم ، ولا يتركوا الملايين من الفلاحين والعمال فى عهـدة الحلاقين والدجالين من محترفى الأجسام ووصافى العقاقير وكتاب الحجب والتعاويذ .

هل من الضرورى للطبيب أن يعيش فى عالم المتاع والترف ؟ وهل لابد من سيارة وصالة وكباريه ! ومن أين يجدون نفقات هذه المباهج اذا كانوا يعطلون أرزاقهم بمثل هذا التزاحم السخيف ؟

وهل هانت علينا مساقط رءوسنا ومنابع نعمتنا فأصبح المتعلم يشمئز من سكناها ؟

أليس المتعلمون والمثقفون والمتحضرون جديرين أن يفيضوا على اخوانهم وأهليهم الثاوين فى القرى بعض ما أوتوا من علم وثقافة وحضارة ، لتكون نعم الحياة قرضا متبادلا بيننا نحن الحضريين وبين إخوتنا الريفيين ؟ ! يحرجون لنا طيبات الأرض وثمرات الحقل ويؤدون الضرائب التى تدر على الموظفين مما مرتباتهم ، ونقدم إليهم نحن العلم الذى يصون عقولهم ويهذب نفوسهم والطب الذى يحفظ أجسامهم من العلل ، ويزيدها قدرة على العمل والإنتاج . أما أن نستنزف ما لديهم من خير ، ولا نرد إليهم الجميل بخدمة تؤديها فهذا عين الأنانية وعين العقوق .

أفلا ندخل مدن الريف إلا موظفين؟ أى أننا إذا لم نخضع لإرغام القرارات الوزارية ولسحر المرتب ، لم نخضع لمعنى وطنى ولا لحافز أخوى ولا لباعث إنسانى ؟!

وهل علم أطباؤنا أن مما شرعه العهد الكمالى فى تركيا ألا يعين الطبيب موظفا فى الحكومة إلا اذا أقام مدة معينة فى الريف ؟

إلى القرية أيها الأطباء ، فان الأرماد تعمى عيون إخوتكم ومواطنيكم ، والأوبئة المختلفة تفتك بأجسامهم ، وهم فى حاجة إلى مقامكم بينهم ليتعلموا منكم النظافة والأناقة والذوق السليم .

إلى القرية تجدوا الزرق وافرا والعمل لذيذا والحياة ناعمة وديعة .

إن المدينة إذا ضمنت لكم بعض مباهجكم ، لا تستطيع أن تكفل كل مطالبكم ، وليس الرزق إلا فى كنوز الأرض ، وهو مهيأ لكم فاسعوا إليه إن كنتم بأنفسكم أبرارا ما